العرب
السبت 2021/07/31
السنة 44 العدد 12134

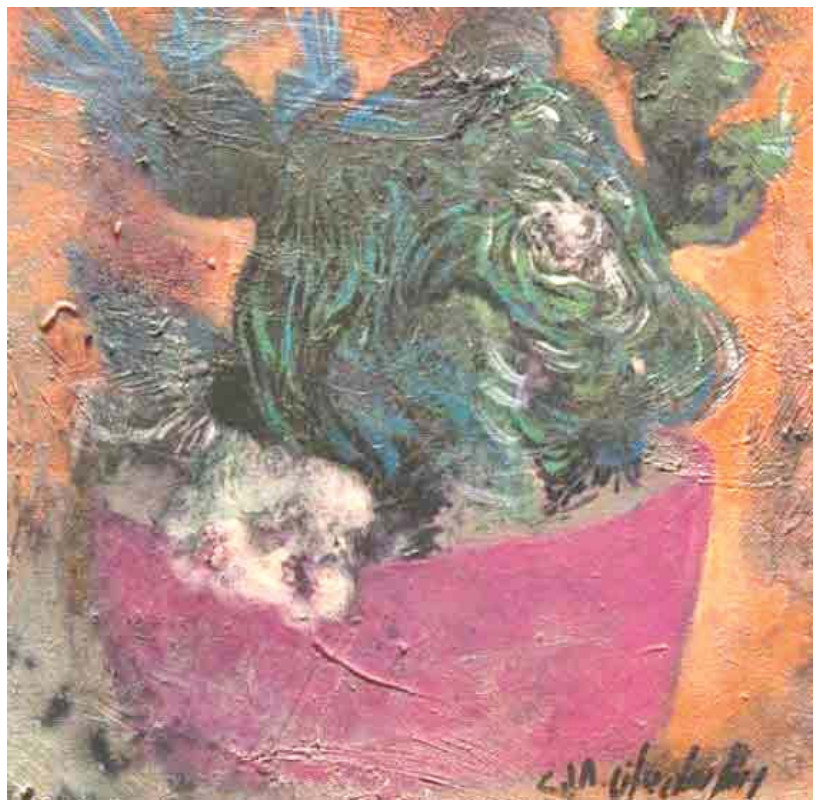

الصبّار يخفي عالما مليئا بالأسرار والرموز

فنانة مصرية تختصر جوهر الحياة في نبتة الصبّار

لوحات رشا سليمان تلتقط ألوانها من أرض قاحلة يملؤها البؤس

المُتمعن في المنجز الفني الأخير للفنانة المصرية متعددة الوسائط رشا سليمان، والذي ما انفكت تنشره على صفحتها الفيسبوكية، لا يعثر فقط في لوحاتها وأعمالها النحتية على عشقها للأشجار والنباتات المختلفة بشكل عام وتحديدا نبات الصبّار، ولكن يقرأ كيف باتت الأرض المُسماة بالقاحلة تمتلك حيوات تخفيها تحت قشور الجفاف الواهية، فهي لا تتوقّف عن التجدّد واكتساب معان لا تنضب.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

قدّمت الفنانة المصرية متعددة الوسائط رشا سليمان في معرضها الأخير "الحياة بذاتها" الذي أقامته بقاعة الباب بساحة متحف الفن المصري الحديث في الأوبرا مجموعة كبيرة من أعمال فنية مختلفة الأحجام برز فيها نبات الصبّار كبطل لا منازع له.

والمعرض ليس الأول الذي تحتفي فيه سليمان بالصبّار، وقد ذكرت الفنانة أنها منذ طفولتها "والشجرة هي قدوتي، والصبّار واحد من مواضيع البحث والتأمل والدراسة الأساسية والثابتة في موضوعاتي الفنية على مرّ السنوات، حيث كان موضوع ثلاثة معارض من قبل 'حوار الصبّار' 1998، 'باليرينة الصبّار' 1999، و'أبجدية الأشجار' 2001، وكانت جميعها بحثا وتعبيرا باستخدام خامة واحدة".

الصبّار اكتسب ملامح جديدة في أعمال سليمان بخروجه عن كونه نبتة صحراوية ليصبح مكانا يُسكن أو يُختبأ فيه

غير أن ما ميّز معرضها الأخير وجعل نشرها لصور منه على صفحتها الفيسبوكية طازجا وملهما إلى اليوم، هو أنها في أعمالها تلك بلغت مستوى عاليا من النضج الفني في تناول نباتات الأرض القاحلة من الخارج إلى الداخل ومن الداخل إلى الخارج في فهم عميق لما يمكن أن تُجسّد من أفكار وأحوال، ولاسيما الصبّار.

الصبّار اكتسب ملامح عديدة في أعمالها وخرج عن حدود كونه نبتة صحراوية ليصبح مكانا يُسكن أو يُختبأ فيه، أو يُستراح في أحشائه الرطبة ذات الماء الثمين المترقرق ببطء بعيدا عن عالم طاحن في السرعة وشرّه في ابتلاع الطالح والصالح.

وليصبح أيضا، أي نبات الصبّار، إنسانا على اختلاف مراحله العمرية ودودا تارة، ومفجوعا تارة أخرى بتغلغل أسمنت المدن إلى حقول وجوده التي تضيق سنة بعد أخرى. وليكون كذلك نباتا صحراويا يتّسم بملامح نباتات صحراوية أخرى فيمتلك بذلك إحالات وحيوات مختلفة تحت مُسمى عام وشامل وهو "نبات الصبّار".

نبتة ملهمة

شمولية هذا الكائن الشائك والمُزهر في آن واحد والذي احتضن روح سليمان غير المزعوجة بأشواكه، سمحت له بأن يكون له حيوات تسرد فصولا عديدة من كتاب الحياة منها؛ قدرته على التكيّف، واتحاده مع خلفية اللوحات حتى باتت تلك الخلفيات وكأنها جزء مُكبّر من النبات، ونموّه دون جلبة، وضموره كما تُضمر بشرة أحد أحبائنا في إشارة إلى مرور الزمن.

ولا يخفى على أحد أن رسم الفنان لذات العنصر عدة مرات دون أن يقع في الإسفاف أو التكرار، هو من أهم ركائز الفن المميز، وهو دليل على تعلق الفنان بهذه أو تلك الثيمة التي يجد فيها الكثير ممّا يريد التعبير عنه، والأهم، الكثير ممّا يتعرّف عليه. فالفن وعلى الأغلب كما في حالة سليمان هو بحث في "مآقي" الصبّار الشائكة واستنطاقها في كل شيء. كل هذا نجده في لوحات الفنانة، وحبذا لو نستطيع هنا تفنيد كل لوحة بلوحتها، وإدراك الفنانة أن عملها يتخطى كونه تصويرا للنباتات بأشكالها المختلفة كنوع من التوثيق المُنقّح بنفحات شخصية.

وتقول سليمان "من الطبيعي، بل والصحي، أن تتعدّد تأويلات اللوحة بسبب تعدّد الخلفيات، واختلاف الثقافات، فضلا عن خصوصية التجارب، إضافة إلى خبرات المتلقي (...) بوصف الإنسان حالة فردية".

وفي سياق آخر، الغريب في لوحاتها أنها حينما تصوّر الأرض الجرداء القاحلة لا تقنعنا بذلك. فدائما هناك هذا النبض الباطني في جوف المشهد الذي يستعدّ لأن يكذّبنا ويُكذّب الفنانة.

رشا سليمان لم ترتو بعد من مقاربة نبات الصبّار وباقي النباتات التي حفلت بها طفولتها تشكيليا في اللوحات، لتعتمد وسائل تعبير أخرى.

وفي ذلك تقول "بدأت التعبير بالنحت الخزفي بأنواع طين وتقنيات تلوين وحرق مختلفة، لكن لم يكف هذا لتفريغ كل المخزون، فبدأت بالنحت على الخشب واستخدام بعض الخامات مثل النحاس والزجاج على الخزف والنحت محاولة الوصول للتعبير الأقرب لهذا النبات الجميل الملهم".

وترى سليمان أن دورها كفنانة هو تقديم بحث عن موضوع يشغلها في مجموعة لوحات بلغة الفن التشكيلي التي تشمل اللون والخط والمساحات والشكل والملمس والتكوين والكتل والفراغ وغيرها من أبجديات لغة الفن.

وهي في ذلك تؤكّد أن "هذه اللغة سهلة ومفهومة للكل، في حين تكمن المشكلة في أن المجتمعات العربية أهملت مؤخرا كل ما يتعلق بلغة الحواس في التربية كالبيت والمدرسة والنادي والمراكز الثقافية، وهو ما عطّل لغة الحواس عند الغالبية، وجعلها غير مستخدمة، وغير المستخدم يصدأ بطبيعة الحال".

ورشا سليمان فنانة تشكيلية مصرية من مواليد القاهرة سنة 1970، خريجة معهد الفنون الجميلة بالقاهرة قسم التصوير عام 1994، وعضو نقابة الفنانين التشكيليين منذ سنة 1997.

> اللوحات تناولت نباتات الأرض القاحلة من الخارج إلى الداخل ومن الداخل إلى الخارج في فهم عميق للبؤس البشري

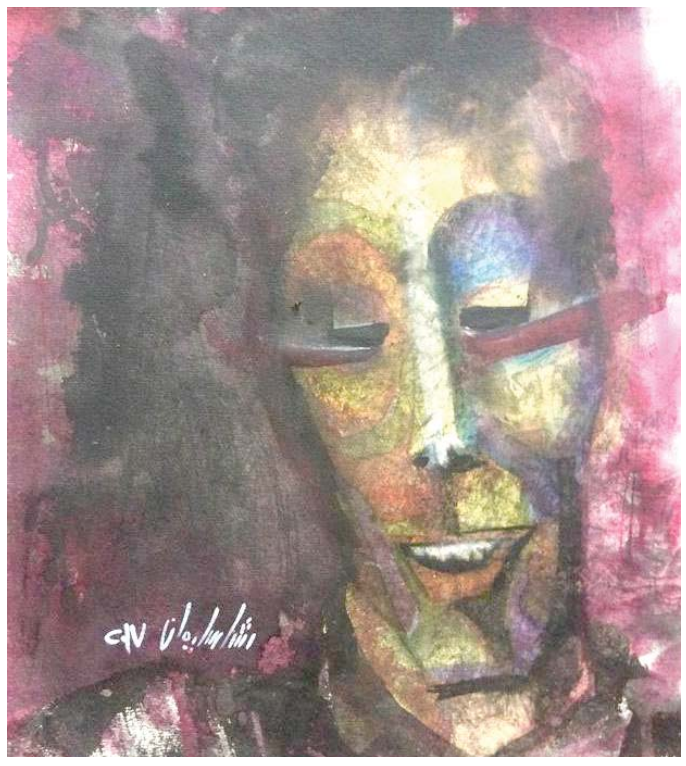

لوحات تنبض بخيال مُربك

تعدّد وسائل التعبير

أقامت رشا سليمان أكثر من خمسة عشر معرضا فرديا، والكثير من المعارض الجماعية منذ 1991 في مصر والخارج، ونالت العديد من الجوائز المحلية والعالمية منها الجائزة الثانية "تصوير" هليوراما للشباب 1997، كما تحصلت على الميدالية الفضية من مهرجان قافلة الإبداع 2000، ولها مقتنيات خاصة في مصر، المغرب، سويسرا، فرنسا وألمانيا.

وللفنانة مشاركات في العديد من المعارض الجماعية داخل مصر وخارجها منها معرض "دير المحرق" في المركز الثقافي اليوناني 2007، ومعرض في مركز سعد زغلول الثقافي – متحف بيت الأمة مارس 2010.

أما معارضها الفردية، فهي: مجمع معارض ومتاحف شونة الفن بالإسكندرية بقاعة صحن الدار "لغة الأبدان" 1997، معرض "حوار الصبّار" بأتيليه القاهرة 1998، معرض "حوار الصمت" بأتيليه القاهرة 1999، معرض "لغة الأبدان 2" بأتيليه القاهرة 2000، معرض "أبجدية الأشجار" بقاعة كلية الفنون الجميلة 2001، معرض "اللغات والحوارات في لوحاتي" بقاعة الهناجر بالأوبرا 2001، معرض "في ذات المكان" في مجمع معارض ومتاحف الشونة بالإسكندرية 2002، معرض بقاعة راغب عياد بمركز الجزيرة للفنون يوليو 2006، معرض "دروبي" بقاعة قرطبة بالمهندسين مايو 2015 وغيرها.

ريم سعد تشكّل من الفسيفساء المائية عينا حارسة لتونس

تونس - تحت عنوان "عشرون ألف مكان تحت الجلد" أقامت الفنانة التشكيلية والباحثة التونسية ريم سعد مؤخرا معرضا فرديا في الفضاء الثقافي فندق الفن بجربة حومة السوق (جنوب تونس) استعرضت من خلاله باكورة أعمالها الفنية التي تستخدم فيها تقنية الألوان المائية المستبطنة، وهي تقنية مبتكرة شكّلت من خلالها الفنانة التونسية الشابة عشرين لوحة فسيفسائية مائية لخّصت من خلالها تعاقب الثقافات والحضارات على تونس.

وتقول سعد إن عملها على تشكيل لوحاتها المائية الفسيفسائية التي تعرضها للمرّة الأولى، استغرق منها ما يزيد عن خمس سنوات من العمل المتواصل.

وهي تهتمّ في لوحاتها بمسألتيْن مركزيتيْن هما التراث وما هو جيني في الإنسان، موضّحة "أستهدف في لوحاتي الإنسان وما يحيط به من تراث وثقافات".

وتقول عن المعرض "وجد الفنان نفسه وحيدا خاصة بعد جائحة كورونا، ومع هذا فأنا أتشبّث بفني وأسعى لترجمة مبدأ الحق في الثقافة إلى واقع يومي ملموس، وذلك من خلال المعارض التي أشتغل عليها أو تلك التي أقدّمها في الساحات العامة".

والفنانة المؤسسة لمشروع "شمعدان للورشات المتنقّلة" تفضل الشوارع والأماكن العامة للاتصال المباشر مع الجمهور دون حدود ولا جدران، وذلك في سعي منها لإشعار المتلقي باعتباره شكلا قويا من أشكال التعبير بضرورة إحداث التغيير المنشود لمجتمع أكثر وعيا وانفتاحا، وهي تودّ أن تُرى ملصقاتها كل من منظوره وتصوّراته وتأويله، حيث تعتمد سعد على التواصل مع الناس عبر استفساراتهم عن ملصقات "العين" التي ما انفكت ترسمها في لوحاتها بحسب تأويلاتهم الخاصة.

وتجمع العين التي استنسختها سعد في عدد من الملصقات ذات الأحجام المختلفة والتصميمات المتعدّدة ألوان أفريقيا وضوء البحر المتوسط، كما تكتنز درجات ألوانها كوكب الأرض بمختلف تنوّعات سكانه وأعراقهم وأعرافهم واختلافاتهم.

ومعلوم أن صورة العين تحمل عدّة دلالات ورمزيات حسب الثقافات والحضارات الإنسانية المتعاقبة، حيث وردت في السجلات التاريخية المصرية والكلدانية واليونانية والفارسية إشارات تفيد بأن هذه الشعوب عرفت العين الشريرة وحاربت أذاها بشتى الوسائل والطرق.

إلا أنها ارتبطت في الذاكرة الشعبية العربية بفكرة الحسد أكثر من أي شيء آخر، حيث عرف العرب الحسد وإصابة العين منذ عصر الجاهلية وحتى اليوم، لهذا تفنّنوا في ابتداع الوسائل الواقية من الشرور والأذى التي تجلبها العين الحاسدة.

فلا غرو إذن أن تكون العين مصدر قوة وأن تظل راسخة محمّلة بالدلالات في ضمير الإنسان منذ القديم وحتى اليوم، ولا بأس في أن ترسمها سعد في تصميمات مختلفة الأحجام والألوان وتوزّعها ذات اليمين وذات الشمال في كل زقاق وشارع بتونس التي تودّ لها الفنانة أن تكون خير حارس للثقافة والفنون.

وهي في ذلك تناشد القائمين على الشؤون الثقافية بتونس بأن يعتمدوا سياسات ديناميكية مندمجة لا تقصي ولا تبعد أحدا "تُعلي مبدأ الثقافة التضامنية وتقرّ بالحقوق والحريات الفردية والعامة وتدفع الفنانين وتدعمهم، وتواكب مختلف أعمالهم الفنية، وتدفعهم نحو المزيد من الإبداع، فالدولة التي تتخلى عن الفنان، تتخلى عن الحياة".

وعن "شمعدان" تقول "هو مشروع فني يصبح فيه الفضاء، كل الفضاء، ملكا للمواطن والفنان على حد سواء، فيشتركان في ألوانه ونمط حياته ومن ثمة يشكّلانه معا بروح تشاركية حتى من خلال الإمعان من قبل المتلقي في منجز الفنان وتأويله كيفما يشاء".

ريم سعد

> من خلال لوحاتي الفسيفسائية الضوئية أستهدف الإنسان وما يحيط به من تراث وثقافات متنوعة

وعند "شمعدان" يتماهى الحرفي والفني لدى سعد فتتحرّر من كل تمظهرات المادة، حتّى أنها تختصر الكون كله في جسدها ولوحاتها وأحاسيسها وابتساماتها التي توزّعها على العابرين حيثما ارتحلت.

وفكرة الورشات المتنقلة التي خلقها العجز عن استئجار مقر يكون حاضنا لأفكارها وتصوّراتها الجامحة، كانت فسحة رتّبت فيها أفكارها المبعثرة لتستقرّ على اقتسام الفن مع الجمهور حيث يكون، فأنشأت علاقة خاصة بينها وبين الآخر في الأماكن التي ترتادها لتشكّل لوحاتها من صميم عمق المكان والإنسان الذي يُشاركها ملهاتها الفنية.

وتعتبر سعد أن تجربتها الفنية هي أيضا نبض تجربتها الروحية، حيث يشعّ إلهام ما، وتجلّ ما "أين ينفتح عالم ما، وأين تدبّ الحياة دفعة واحدة"، ويتجلى ذلك في لوحاتها، ففيها ينكشف سرّ الخلايا حتى في الظلام الداكن، خلايا تشعّ من جديد إبان انعدام النور، خلايا تخزّن النور داخلها حتى مجيء الظلام الذي لا مناص منه، لتنبئ المتلقي لأعمالها أنّ الألوان حية لا تموت وأن فسيفساء ألوانها المائية ما هي إلاّ استعادة لتراث أجدادها الذين ابتكروا أكبر مطمور فسيفسائي في العالم، لكن الفرق بين الفسيفاء الرومانية وفسيفسائها أن الأولى كان أساسها قطع من الحجر، أما الثانية فوميض الضوء المبتكر.

عين طاردة للشرور والأحقاد